مورد الصفا في محاذاة الشفا

للعلامة القاضي العارف بربه

أبي العباس سيدي أحمد سكيرج

الخزرجي الأنصاري

دراسة وتحقيق

محمد الراضي كنون

تقـــديـــم

إن التاريخ الفكري والثقافي لأية أمة هو المقياس الناجح والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى رقيها ونموها بين مصاف الدول المتحضرة. كما أنه الكفيل بمواكبة إسهاماتها وما أدته من دور في تشييد معالم الحضارة الإنسانية عبر القرون.

والتاريخ، كما هو معروف، حلقات مضينة. تتعاقب واحدة منها تلو الأخرى. والمجتمع طبقات مرتبطة بعضها يلي بعضا. وبين هذين الفاعلين سلسلة ممتدة متماسكة. لا تنتهي من جيل حتى يستمسك به الآخر.

والناس اليوم بحاجة ماسة أكثر من أي وقت آخر للوقوف على بعض مفاخر رجالات هذا الوطن (المغرب) ممن حملوا نهضته العملية والأدبية. وعملوا على إثراء حركته الفكرية والثقافية، واسهموا في إبراز الشخصية المغربية، وتوقفوا بفضل تضافر جهودهم إلى المضي بوطنهم نحو مهيع الرقي والتقدم المنشود.

ومن هؤلاء الذين ذكرناهم العلامة القاضي المؤرخ أبو العباس أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، ذلك الرجل الفد الموسوعي الثقافة، ذو العراقة والأصالة المشهودة، إذ هو أحد الذين حافظوا على سلامة الشخصية المغربية في أصولها المتجدرة وجواهرها العميقة، كما أنه ذلك الرجل الأبي المتفتح البصير بشؤون وقته، السابق لعصره في منهجه وأسلوبه وطريقة كتابته، وكيف لا وقد أثرى خزانة بلاده بعشرات المؤلفات القيمة التي ذبجها يراعه النشيط.

والحق أنها مؤلفات نفيسة، عديمة النظير في بعضها، تختلف ما بين تاريخ وترجمة وتصوف وشعر ورحلة وعروض وفقه وحديث، وهو تراث عظيم يجب على الأجيال الصاعدة أن تعرفه وتطلع عليه، لترى ما أنجزه الأجداد وما بذلوه من جهود جبارة عبر التاريخ في سبيل إخصاب الحضارة العربية الإسلامية، وإبراز مكوناتها مشرقا ومغربا.

ويعد صديقنا الباحث الثبت الأستاذ محمد الراضي كنون واحدا ممن اعتنوا بتراجم هؤلاء الأسلاف الكرام، لاسيما ما يتعلق منها بالعلامة المؤرخ أحمد سكيرج، في جزئين، وهو كتاب ممتع شيق، ذكر مؤلفه المذكور أنه في ثمانية أجزاء، والحق أنه عمل جبار مضني، لا يقدر قدره إلا من عانى مشاق التأليف وتحمل وعورة طريقه وشعابه الطويلة.

ثم يعود نفس الأستاذ ليتحفنا اليوم بكتاب آخر في الموضوع نفسه، وهو تحقيقه لكتاب: مورد الصفا في محاذاة الشفا. وهو نظم للعلامة سكيرج في 7747 بيتا، نظم فيه كتاب: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، للفقيه العلامة الشهير أبي الفضل عياض اليحصبي رمه الله.

وقد أصحب المحقق هذا الكتاب بترجمة وافية للعلامة أحمد سكيرج، استدرك فيها بعض ما فاته ذكره توخى طريقة جديدة في التعريف بأهم مراحل حياته وجلائل أعماله، مع تحليل شخصيته ودراسة عصره بجميع ظروفه وملابساته، كل ذلك في

أسلوب أدبي رفيع، أضفى على هذا الكتاب صبغة مميزة دقيقة، وجعله يمثل جملة من القيم الإيجابية الحميدة.

ولعل من أبرز هذه القيم على الإطلاق قيمة الوفاء، وما أشد ما أصبحنا نحتاج إلى هذه القيمة الجليلة، لاسيما بعد أن تناكر الناس بعضهم لبعض وجهل بعضهم حق بعض.

وترافقك وأنت تقرأ هذا الكتاب صور حية من هذا الجهد الذي بذله المحقق في تجميع مادته، ذلك الجهد الذي انسرب إلى الأعماق ليقدم لنا تلك الثمرة الطيبة والنتاج القيم.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أنوه مرة أخرى بأخينا الأستاذ محمد الراضي كنون، الذي لو شئت أن أذكر ما أعلمه عنه من خلق حسن واستقامة وإيمان وصدق وإخلاص لذكرت الكثير، بيد أني أعلم أنه لا يرغب في المدح والإطراء، بل يأباه ويكرهه.

وعموما فإني أرجو أن يسهم هذا الكتاب في زيادة الحس التاريخي لدى كل من اهتم به وطالعه، كما أرجو أن يسبل مولانا عميم رحماته على روح العلامة المترجم له (أحمد سكيرج) وأن يعيننا على أن نتابع بمثل خطاه في عزيمة أشد وإيمان أقوى، وفي توفيق ويقظة تتيح لنا أن نأخذ ما نأخذ عن بينة وأن نترك ما نترك عن بينة.

د عبد الهادي التازي
عضو الأكاديمية المملكية المغربية

مقدمة

يبدو جليا لكل مطلع على تاريخ المغرب ما لهذا التاريخ من عظمة مشهودة. وجلالة مذكورة. ليس بما فيه من جليل الأعمال والوقائع فقط. بل أيضا لما يضمه من رجال أفذاذ متميزين. ساهموا في مجريات أحداثه بما يملكون من طاقات وإبداعات وغيرها. فمنهم العالم. ومنهم المؤرخ. ومنهم الأديب. ومنهم المجاهد والفنان. وما إلى ذلك من النعوت والتخصصات الكثيرة.

ومن هؤلاء الأفاضل دون منازع أديبنا الشهير العلامة الصوفي القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي الله تعالى عنه. فهو ذو شخصية فريدة من نوعها . لها جلالها ووقارها. كما لها هيبتها القوية التي أكسبتها ما به احتلت المكانة الكبيرة المرموقة.

ومن المؤسف أن هذا الرجل الذي أثرى الخزانة المغربية بعشرات المؤلفات والدواوين الشعرية. لم ينل من اهتمام المؤرخين المعاصرين والمحدثين إلا قليلا لا يناسب قدره. ولا يقوم مقام فضله ومكانته. وكيف لا وهو ذو المنزلة العلمية السامية. التي لا يجحدها إلا جاهل. ولا تنكر وجودها إلا مقله عمياء.

ولهذا اخترت أن اجمع في هذا الكتاب مقتطفات يسيرة عن هذا العالم الجليل. عسى أن يكون ذلك حافزا لتسليط الضوء عما ينبغي تسليطه من أعماله ونفائسه الفريدة.

ولا أعد نفسي في هذا الصدد أنني قد أحطت بالموضوع. أو أنني قد عملت شيئا باهرا يذكر. غير أني على يقين بأنني قد حركت بذلك بعض الهمم القوية القادرة على خوض غمار هذا المجال الحميد. العميق الأغوار. الكثير الأطوار. فتعد حوله الدراسات والبحوث الكافية. وتقام له الندوات والملتقيات المفيدة.

أما أنا العبد المذنب فأعلن جهرا عن عجزي التام عن الإحاطة بأخبار هذا الرجل الجليل.وما يتعلق به من علم ومعرفة وآداب ونزاهة وغيرها. لكوني ذو بضاعة مزجاة. بل لا بضاعة لي أصلا ولا زاد. فالأولى بذلك هم أهل المعرفة لا غير. فهم الأجدر بخوض مثل هذه البحور العظيمة الأمواج. التي لا يسبح فيها إلا ذووا المعرفة بأحوالها.ممن لا أستحق أن أكون تربة تطأها أقدامهم. فضلا على أن أذكر بينهم.

علاقتي بالعلامة سكيرج

لست أدري ما الذي دفع بي للكتابة عن هذا العالم المؤرخ الفاضل. الموسوعي الثقافة. الذي جمع بين علوم وفنون عديدة. قلما تجمع بين يدي رجل واحد.
لقد بدأت عنايتي بشخصه الكريم منذ أكثر من ثلاثين سنة ولت. أي منذ أول قدم وضعته في الطريقة الأحمدية التجانية. حيث كنت مشغوفا بقراءة كتبها ومؤلفاتها. سواء منها المنظوم أو المنثور. إذ ذاك اشتريت نسخة من كتابه: كشف الحجاب. عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ثم كتابه الآخر: رفع النقاب. الذي هو في أربعة أجزاء من الحجم المتوسط.
وقد انهمكت في قراءة الكتابين المذكورين مدة طويلة. كنت خلالها مشدودا لبلاغة هذا الرجل وفصاحته العالية. أضف إلى ذلك تحقيقاته الدقيقة التي كانت تخرج بي إلى فوائد من التاريخ. وفرائد من الأدب. وباقات من الأشعار. وطرائف من المقامات. وتحف من السير والأخبار. فكنت أقف مندهلا أمام عقلية هذا الرجل الفنان. السابق لعصره. ذي الرؤية البعيدة. والنظرة الشمولية التي تفيض كالبحر المتلاطم الأمواج. وتضيء لمن أم ساحتها كالكوكب الوهاج.
وما كان أروع إعجابي به وهو يصف لنا بأمانته العلمية بعضا من أخبار الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. مع ما يحيط به من علوم ومعارف وآداب. وأخلاق وصفات وكرامات وغيرها. فقد كان في ذلك جامعا واعيا محققا. حريصا على إعطاء الموضوع حقه من الجلالة والوقار. دون غلو أو تزييف للحقائق.
وقد شكل لي هذا الإعجاب دافعا قويا للبحث عن أخبار صاحبنا المذكور. وتقصي ما يمكن تقصيه حوله من معلومات . حيث كنت أجهل عنه كل شيء. باستثناء ما أسمعه من ترديد اسمه على ألسن بعض مريدي الطريقة التجانية ومقدميها. لاسيما الأفاقيين منهم من أهل القارة الإفريقية السمراء.
وبناء عليه أخذت في البحث عما يشفي غليلي من مصنفاته وتقاييده. خصوصا بعدما عرفت أنه من ذوي التآليف الكثيرة. وأن جزءا لابأس به منها قد تمت طباعته.
فانطلقت أسأل عن كتبه هنا وهناك. وبقيت على هذه الحالة إلى أن جمعت قسطا وافرا منها. بيد أن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة لي. لاسيما وقد وجدت في نفسي رغبة أكيدة في أن أزداد معرفة بهذا الرجل الفاضل. وفي أن أكتب عنه إذا وفقني الله لذلك.
ومهما يكن من أمر فقد كنت أجهد في جمع هذه الكتب. كما كنت أصرف الرغبة في التوجه إلى كل من تبث عندي أن لديه بعضا منها.
وعموما فمنها ما أخذته من الخزانة العامة بالرباط. ومنها ما أعطانيه بعض أهل النسبة من الفقراء. ومنها ما عثرت عليه في بعض الخزانات والمكتبات القديمة. كما أن منها ما دخل يدي من هنا وهناك.
وكان من فضل الله سبحانه علي التقائي بحفيد مترجمنا المذكور. الأستاذ الأديب الفاضل سيدي محمد الكبير سكيرج. فرحب بي وأكرمني غاية الكرم. كما أمدني بكتب جده ومختلف كنانيشه. ولم يبخل علي بشيء منها. وتلك كرامة فريدة لا أنساها له.

نـــسـبـــه

ذهب العلامة سكيرج على أن نسب أسرته منحدر من قبيلة الخزرج الأنصارية. وأن أجداده هاجروا من الجزيرة العربية إبان اتساع الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقيا. فاستوطنوا بلاد الأندلس. حيث نزلوا بجبل مطل على مدينة غرناطة. يدعى (سكيري) ومنهم من يسميه (شلير) وهو جبل عظيم. شديد البرودة. تتراكم الثلوج على قمته طيلة فصول السنة تقريبا.

وفي وصف برودة هذا الجبل قال بعض شعراء الأندلس:

لظى تشتهى هذا النهار فإنهـــا أرق علينا من (شلير) وأرحـــــم
لئن كان ربي مدخلي لجهنـــم ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وعموما فالعلامة سكيرج يشير إلى أن أجداده نزلوا بهذا الجبل واستوطنوه. فنسبوا إليه بالجيم بدلا عن الياء. وهي لغة شادة في كلام العرب. فيقال في سكيري سكيرج.

ولم يكن العلامة سكيرج أول من نادى بهذا النسب داخل أسرته. بل سبقه إليه قريبه الشاعر الشهير محمد بن الطيب سكيرج[1] المتوفى عام 1194هـ. أي قبل ازدياد مترجمنا بقرن كامل. حيث نجد لهذا الأخير كلاما جامعا في هذا الإطار. منه قوله من قصيدة يفاخر بها شاعر البلاط الملكي إذ ذاك أحمد بن محمد ابن الونان[2].

فأما اكتساب المجد من عهد يعرب فما هو عن أسلافنا ببعيـــــد

---

[1]- محمد بن الطيب سكيرج. أديب شاعر فقيه فاضل. من جلة كتاب المغرب في عصره. وهو من مواليد فاس عام 1122هـ. كان عالما وجيها مقتدرا. صاحب أشعار نفيسة. ذات مستوى عال من الإتقان والجودة. نعته معاصره العلامة المؤرخ سليمان الحوات في كتابه : ثمرة أنسي في التعريف بنفسي بقوله: كاتب الأوامر السلطانية. المفتخر به في تلك الدولة. أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج. إهـ...
وعموما فقد كان المترجم على درجة عالية من العلم والوعي . وهو الكاتب الأول للسلطان المولى محمد بن عبد الله العلوي. ويذكر أنه كان راكبا معه يوما بالمركب الملكي بوادي أبي رقراق. بين ثغري سلا ورباط الفتح. فقال فيه يمدحه:

ولما رأيت البحر في الجود آيـــة ومن جوده الدر النضيد المقلد
سألته من في الناس علمك النـــدى فقال أمير المؤمنين محمـــــد

وله مشاركة في مجال التأليف. لاسيما في علم العروض. فقد كان فيه آية في الدراية والإتقان. ومن آثاره فيه أرجوزة طويلة سماها : الشافي. في علم العروض والقوافي. قال في مطلعها:

حمدا لمن بسط أبحر النعـــــم ومن مديد طوله يوتي الحكـــم
ثم على خير الورى صلاتـــي و آله وصحبه الهـــــــداة
والتابعين نهجهم على الـــدوام ما مدحه صيغ بنثر ونظـــام
وبعد فالشعر له ميـــــزان به يلوح النقص والرجحـــان

إلى آخرها. وقد شرحها العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج في مجلد ضخم سماه: منهل الورود الصافي. والهدف من فتح الكافي. في شرح الشافي. في علمي العروض والقوافي.
توفي بالوباء في شهر جمادى الأولى عام 1194هـ - ماي 1780 م . انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي 7: 2418.

[2]- أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان الملوكي الفاسي، من أكابر أدباء المغرب في عصره ، وهو صاحب القصيدة المشهورة بالشمقمقية ، وعدد أبياتها 275 بيتا ، وتحتوي على كثير من الفنون الأدبية والأغراض الشعرية، ومطلعها :

يا سيدي سبط النبـــي أبـــو الشمقمق أبـــي

وتوفي رحمه الله عام 1187هـ ، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان ج 3 ص 344 وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 316 وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 243.

وأما العلا فاسأل ترا فضل أهلنـــا فكم حملوا للمصطفى من بنـود

إلى أن يقول منوها بسمو نسبه ومكانة أسرته:

وأما الندى فانظر بعينك حينـــــا فإن عيون المرء خير شهيـــــد
تخبرك الأيام عني حقيقـــــــة بأني من لخم أعز وليـــــــد

وإلى جانب مترجمنا العلامة سكيرج كان أخوه الفقيه المؤرخ محمد (فتحا) سكيرج غالبا ما يصرح بهذا النسب . ويقرره ويقوله. بيد أنه لم يكن يكتبه على ظهر غلاف تآليفه وكتبه. وذلك بخلاف أخيه مترجمنا المذكور. إذ نجد على ظهر معظم تآليفه قوله: تأليف خديم الحضرة المحمدية. الفقيه العلامة الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري.

وحول هذا الصدد قال الأديب الشاعر عبد الغني بن عبد الخالق سكيرج (ابن أخ المترجم) كانت هذه النسبة تثير في نفسي الشك والارتياب والقلق. فأقف طويلا عندها للتأمل واستجلاب العبرة. ثم أتساءل مع نفسي من أين عرف الشيخ (يعني به عمه العلامة أحمد سكيرج) هذه النسبة؟ وكيف وصل إليها ؟ إلى أن تجرأت عليه مرة. وأنا يومئذ طالب بكلية القرويين بفاس العامرة. فسألته عن هذه النسبة كيف وصلت إلينا من الأنصار. ونحن أبعد ما نكون عنهم بمآت السنين. وتفصل بيننا وبينهم مسافة طويلة من الزمن.

فلم يرقه ذلك. وكان لا يستطيع أحد أن يجرأ عليه فيسأله مثل هذا السؤال. أو يناقشه في مسألة مسلمة لديه. قال إيه. ألم يعجبك هذا؟ ألا يروقك أن تكون عائلتك من الأنصار؟ فلما قال ذلك علمت أنه لا يريد أن يدخل معي في حوار ونقاش في شأن هذه النسبة. خاصة إذا قال ذلك في شدة وحدة. وقطب بين حاجبيه الأشهبين. إهـ...

وإذا أردنا الرجوع إلى معاجم اللغة فإننا نجد أن أقرب شيء لهذا اللفظ هو اسم السكرجة. بضم السين والكاف والراء المشددة. وقد ورد هذا الاسم في عدة أحاديث نبوية صحيحة. والمراد بالسكرجة الصحن أو الإناء الذي يوضع فيه نوع من الطعام.

ومن هذا القبيل ذهب بعضهم على أن لفظ سكيرج آت من كلمة السكرجة. بمعنى أن صانع تلك الأواني والصحون يسمى بالسكرجي. ويقال له أيضا سكيرجي على وزن التصغير.

وانطلاقا من هذه المعطيات فقد نحا هؤلاء منحى اللغة في تحديد هذا النسب العاطر. فرأوا أن هذا الاسم آت عن أحد الحيثيتين. إما من حيث اشتهار هذه الأسرة بصنع هذا النوع من الصحون والأواني. وإما من حيث كثرة استعمالها له.

وكثيرا ما كان هذا الاسم (سكيرج) محل استفسارات بالنسبة لمترجمنا رضي الله عنه. حيث غالبا ما كان يجيب عن تساؤلات ومطارحات في شأنه . وفي كتبه وتصانيفه نماذج واضحة حول هذا الباب. من ذلك ما جاء في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية. أن امرأة من أهل الجزائر (العاصمة) سألته عن سبب تسميته بهذا الاسم. مشيرة على أنه اسم مذموم عند أهل البلاد المذكورة. أي في لهجتهم الدارجة. بحيث لا يذكرونه إلا في حالة إلحاق العيب بشخص. أو إهانته وتنقيصه. فأجابها العلامة سكيرج بقوله:

وقائلة أهل الجزائر كل مـــــن يعيبونه يدعونه بالسكيرجـــــي
فمن أين هذا الإسم جاءك قل لنا فقلت لها سكر بحب النبي يجي

وإلى جانب ما ذكرناه نجد العلامة سكيرج ينسب نفسه في بعض تقاييده وكتبه للصحابي الجليل شاعر الإسلام والمسلمين سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه. ولمن يريد الوقوف على حقيقة ذلك فلينظر مسامرته التي تحمل عنوان : كرامة الأولياء أمام عجائب المخترعات. وهي من مسامراته التي أدرجناها ضمن كتابنا: رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج.
والمعروف عن نزاهة العلامة سكيرج أنه ما كان ليقدم على ذلك لولا تمكنه من معلومات قاطعة تثبت صحة نسبه للصحابي المذكور. لاسيما وقد كانت هذه المعلومات متوفرة لدى أفراد الأسرة الأوائل. كمحمد بن الطيب سكيرج ومن سبقه.

التعريف بوالده الحاج العياشي سكيرج

هو الفاضل البركة الحاج العياشي بن عبد الرحمان[1] بن الحاج أحمد البرنوصي بن محمد بن حمو سكيرج.
ولد بفاس عام 1259هـ. وبها نشأ تحت ظلال المروءة والتقوى. ومجانبة اللهو واللعب. مع الإقبال على العبادة. والتحلي بالشيم والأخلاق الفاضلة.من صدق وإخلاص ووفاء واستقامة وكرم.
وقد درس بالقرويين مدة غير قصيرة. كان خلالها كثير التردد على مجالس علماء وقته. من أضراب العلامة سيدي محمد المدني كنون. وشقيقه سيدي التهامي كنون. وسيدي إبراهيم اليزيدي العلوي. ومحمد بن الهاشمي الجبلي. وعلى يد هذا الأخير تخرج. وهو عمدته. وبه كان أكثر انتفاعه.
وكان وفيا لشيوخه المذكورين. ينوه بهم بين كل فينة وأخرى. مستدلا بقول الشاعر الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وكان من وفائه لهم إكثاره من ذكرهم. مع الدعوة لهم بالرحمة والغفران وتعداد سرد مناقبهم وكراماتهم.كما كان يرجع كل قول أو تقرير أو حكاية إلى صاحبها منهم. وقوفا مع الأمانة العلمية من ناحية. والتزاما بالحق من ناحية ثانية.

---

[1]- الحاج عبد الرحمان سكيرج كان معاصرا للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. محبا فيه متمسكا بطريقته. عاضا عليها بالنواجد . لكنه لم يأخذ عنه الورد مباشرة لصغر سنه وقتذاك. بل أخذه بعد وفاته عن بعض الخاصة من المقدمين بفاس المحروسة. وقد ترجم له حفيده الحاج أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ص 239 فقال في حقه بعد كلام ما نصه: وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له في الدخول في هذه الطريقة ويجازيه بالخير. ويقول له : قد كنت في غفلة عن هذا الخير العظيم الذي أنعم الله به على هذه الأمة. والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني للدخول فيها. وكان يذكر في كل يوم صلاة الفاتح لما اغلق ازيد من 3000 . مرة إلى أن توفي رحمه الله وفاة الصالحين. بعدما قرأت عليه الوظيفة الشريفة. وهو يقرأها. وعند فراغها قال لأهله: أين الكاس الذي أتاني من عند الإله. وصار يبحث فوق الفراش عنه. حتى أخذوا كاسا ودفعوه له. فقال لهم : سبحان الله إنه سقط ولم يهرق. ثم شربه فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى في 7 ذي الحجة الحرام عام 1311هـ وعمره يناهز 90 سنة. ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة بفاس قرب سور البلد رحمه الله. انظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي احمد سكيرج 1 : 6.

وهو ممن أوتي موهبة في الدراسة والتحصيل. مع ذكاء ونباهة وفطنة زائدة. بيد أنه انقطع عن القراءة في سن شبابه. ليتفرغ بعد ذلك لمزاولة بعض الأعمال والحرف الحرة.

ومهما يكن من أمر فقد كان لا يدع فرصة للانتفاع والاستفادة إلا اغتنمها لئلا تفوته. فما إن يسمع بفقيه أو صالح نزل بفاس إلا ويقصده. وقد ربط في هذا النطاق صداقات وصلات مع الكثير من مشاهير العلماء. سواء على مستوى المدينة المذكورة أو غيرها.

وعموما فقد كان صاحبنا المذكور صواما قواما. يخاف الله عز وجل. كثير البكاء من خشيته. لا يغضب إلى له. كما كان بارا بوالديه وأقاربه. يصلهم في كل حين باستمرار[1]

وكان إلى جانب هذا وذاك رجلا وسيما. جميل الصورة. وضيء الوجه. أبيض اللون مشربا بحمرة. ذاهيبة ووقار . لا يأتي مجلسا إلا ويجلس منه جانبا. فإن قدم امتثل. ولا يتكلم إلا إذا طلب منه. وهو ممن أعطي القبول عند الناس. سواء من أهل العلم أو غيرهم. فكانوا يقربونه ويحترمونه.

ومما يكتب لمترجمنا بمداد الذهب جهاده البطولي في حرب تطوان. ما بين عامي 1276هـ - 1278هـ. 1859م – 1861م. فقد شارك في هذه الحرب وهو شاب يافع دون العشرين من عمره. فقاتل فيها قتالا شديدا. غيرة على دينه. ودفاعا عن أمته ووطنه. وظل يحتفظ بعد انصرام هذه الحرب ببندقيته التي كان يحارب بها. وكان فخورا بهذه البندقية. يطلع عليها أحبابه وأصدقائه. ويصف لهم بعض وقائع هذه الحرب. وما أبلاه فيها صحبة رفاقه المجاهدين من شجاعة وبسالة وقوة.

ومن هذا القبيل ما ذكره عن نفسه مما معناه. أنه حضر صبيحة اليوم الذي تم فيه توقيع الصلح بين الطرفين المغربي والاسباني. وكانت لا تزال ببندقيته إذ ذاك

---

[1]- ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 217 ما نصه: وقد وقع لوالدي غمرني الله في رضاه ، وأحسن إليه في دنياه وأخراه ، أنه كان ملازما لقراءة دلائل الخيرات كل ليلة جمعة واثنين ، مع جماعة في مسجد مجاور لدار سكناه، فاتفق له أن لم يخرج في بعض الليالي، بل بقي بداره، وهم يقرؤون وهو يقرأ بقراءتهم حتى غلبه النوم، فبينما هو نائم إذ رأى أحد الجماعة مقبلا وهو يقول له: قم لترى النبي صلى الله عليه وسلم، فها هو ذا مار من هنا، ودخل ذلك الرجل لمسجد القراءة مسرعا، قال: فوقفت في طريقه متأذبا ، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مقبل هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال : فلما رأيته صلى الله عليه وسلم رميت نفسي عليه وصرت أقول له: أريد أن أمتع الملامح يا رسول الله، وصرت أكررها عليه، وأردت بذلك رؤية الخاتم، قال : فصار أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لي: إن هذا الموضع مريض، ويشير لموضع الخاتم ويقول لي : لا تقربه قال: فالتفت إليه صلى الله عليه وسلم وقال له: دعه عنك حتى يمتع ملامحه، ثم حل صلى الله عليه وسلم طوقه الشريف، ورمى شملته عن كتفيه، وقال لي انظر ، قال : فرأيت خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم، وصورتها مثل كف يد بين الكتفين، والأصابع إلى أسفل مضموم بعضها إلى بعض، وفي منتهاها دارة الخاتم الشريف كالطابع المعمر، ولونها أحمر، قال: فصرت أقبلها وأضع عيني عليها ، إلى أن قال لي صلى الله عليه وسلم : يكفيك، فرفعت رأسي، وسد صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف ، ولما ذهبت ناداني صلى الله عليه وسلم وقال لي: أتسمع؟ قال فقلت له نعم يا سيدي يا رسول الله، فقال أنت ممن رأوا محمدا حقا، قال: فلما سمعت منه ذلك حصل لي فرح عظيم حتى استيقظت من أجله، فوجدت الجماعة الذين يقرؤون في ذلك المسجد بلغوا إلى قول صاحب دلائل الخيرات رضي الله عنه اللهم صل على صاحب الحسن والجمال والبهاء والكمال إلخ.. قال فقمت وتوضأت وذهبت إليهم وأخبرتهم بهذه الرؤيا، فتحققوا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليحضر للختم، وفرحوا غاية الفرح بذلك، وحصل لهم نشاط في المواظبة على القراءة بعد أن كان بعضهم يتراخى في الحضور، إلى أن أذن الله بفراق الجماعة بموت غالبهم، والبقاء لله الواحد القهار.

رصاصة واحدة. فأطلقها على أحد الجنود الإسبان المتواجدين هناك. وذلك قبل إمضاء الهدنة بوقت قصير. فأصابت الرصاصة مكانها من الجندي المذكور. فقتلته حينا. فكان بذلك آخر جندي يسقط في هذه الحرب.

وقد أصيب هو الآخر بجراح بليغة خلال اليوم الأخير من هذه الحرب. فايس من حياته جل أصحابه. نظرا للنزيف الحاد الذي وقع فيه. فعدوه لذلك من جملة الأموات. فتركوه في ساحة القتال يتخبط في دماءه. إلى أن جاء والده (الحاج عبد الرحمان سكيرج) للساحة المذكورة قصد البحث عنه. فوجده ملقى بين الشهداء وجرحه ينزف. وهو في حالة جد خطيرة. فحمله فورا لبيته. حيث امتثل للشفاء بعد ذلك[1].

ولمن أحب الزيادة في التعريف بهذا الرجل المجاهد الكريم فليطالع منظومة نجله العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. التي تحمل عنوان : الغنيمة الباردة. في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة. فقد أجاد فيها ناظمها غاية الإجادة. وتقع في 470 بيتا.

توفي رحمه الله بتاريخ يوم الأحد 4 جمادى الثانية عام 1328هـ - 13 يناير 1910م. ودفن بجبل زعفران خارج باب عجيسة[2] بفاس. وكان نجله (العلامة سيدي أحمد سكيرج) حينئذ بمدينة طنجة. حيث توصل هناك من والده المذكور برسالة مؤرخة قبل تاريخ وفاته بيومين فقط. قال في آخرها :

ونعلمك بخالتك آمنة كيرانة. زوجة السيد الحاج المكي بن كيران. عظم الله أجرك فيها. وقد توفيت قبل تاريخه بثلاثة أيام.فالله يلحقنا بها مسلمين آمين. وأما ما كان من أمر أخيك عبد الخالق فإنه قد نزل من الحانوت ودخل القرويين. هذا ما علي. وأنا مسافر للآخرة.اهـ...

وقد كتب العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج بهامش هذه الرسالة ما يلي:

---

[1]- عن هذه الظروف المذكورة قال العلامة سكيرج في كتابه : الغنيمة الباردة. في ترجمة سيدنا الوالد وسيدتنا الوالدة. ص 5.

وجاهد الوالد في الاسبـــان	عام خروجه إلى تطـــوان
ولم يقصر في مطاردتهـــم	ومنهم كم قاد من قاداتهـــم
ما زال يلقاهم بكل معترك	وفيهم كم من مصائب تـرك
وقد أصيب بين من أصيبوا	وكلهم في نصره مصيـــــب
وبعدما أصابه جـــــراح	وعظمت من فقده الأتـــراح
جاء إلى مواقع القتلى أبوه	مع فتية من قومه فطلبـــوه
فوجدوه بينهم كالميـــــت	فحملوه وهو في تثبـــــت
ثم شفاه الله بعد مـــــده	وكان ما كان لديهم بعـــده
والأمر لله الذي كل الأمور	بيده لدى الورود والصـدور
وكم تعاهده برء جرحـــه	بألم حتى ارتقى فيه صرحه

[2]- ملحوظة: يدفن معظم متوفي الأسرة السكيرجية بجبل زعفران. خارج باب عجيسة بفاس. وقد تساءلت كثيرا مع نفسي عن سبب ذلك. إلى أن وقفت على بطاقة صغيرة للعلامة القاضي سيدي أحمد سطيرج. ذكر فيها أن السبب الدافع لذلك يعود بالدرجة الأولى لما احتوته الروضة المذكورة من قبور لبعض أكابر مقدمي الطريقة التجانية.كالشريف البركة سيدي الطيب السفياني وأبنائه. وسيدي أحمد العبدلاوي وآخرين.

واعتبارا لما في معاشرة الصالحين ومجاورتهم من مزايا عظيمة. فقد كان أهل هذه الأسرة يحبذون دفن موتاهم بجانب هؤلاء السادات الأفاضل. اغتناما لبركاتهم من جهة. وانتفاعا بقربهم وطيب نفحاتهم من جهة ثانية.

توفي سيدنا الوالد رضي الله عنه بعدما كتب هذا الكتاب بيومين. عبارتان اثنتان جاءتا في هذه الرسالة. وكأن صاحبها كان ينظر من وراء حجاب إلى ما سيقع في القريب العاجل. فالأولى منهما : أنا مسافر للآخرة. فكانت كلمة صادقة. والثانية فالله يلحقنا بها مسلمين. كانت دعوة مستجابة. اهـ...

وللعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج قصائد عديدة في رثاء والده المذكور. منها قوله:

طاب أنسي وكنت في إيحاشـــي وإلى من هويت طال انحياشـــي
لم أخف بعد قربه من بعـــاد عن حماه وفي حماه انتعاشـــي
يالقومي هل تعلمون بأنـــي متفان في والدي العياشـــي
لي من حبه بقلبي وجـــد صار صبري من بعده في تلاشـي
منذ فارقته تفارق شملـــي وببعدي عنه زال هشاشـــي
كان لي والدا شفوقا ولكـــن عنده طاب في الهناء معاشـــي
بذلا جهده لنفعي ودفع الضـــر عني في الأنس والإيحـــاش
لم أشاهد مثيله في زمانـــي كيف والفضل منه في فاس فاشـي
فهو بين الورى تقدم في الفضـــل وهم من ورائه كالحواشـــي
وهو يوم الوغى تصدر في الجيـــش وفيها قد صار ثابت جـــاش
فلتسل عنه حرب تطـــوان كم دا فع عنها من سطوة الأوبـــاش
كان عنها مدافعا وله كـــم من مدافع همة لا ندهاشـــي
وأصيب بوقعة كان فيهـــا برصاص من العدا رشـــاش
لم يزل جرحه يعاهده مـــن بعده بانتفاخه وانتفـــاش
ثم حين احتضاره انفجر الجـــرح فكان الشهيد فوق الفـــراش
قدس الله روحه في جنـــان وحباه ما فيه كل انتعـــاش

التعريف بوالدته السيدة
فروح التازي

أما والدته فهي السيدة الجليلة الصالحة. القانتة الطيبة. فروح بنت السيد الفاضل البركة سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي[1]. أحد جلة أصحاب ومريدي الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه. سماها والدها المذكور بفروح على اسم والدة الخليفة المعظم. مؤلف كتاب جواهر المعاني. سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي رضي الله عنه.

وهي امرأة عفيفة. متمسكة بالدين وأحكامه. عديمة النظير في النسك والعبادة والتقوى. هادئة الطبع. وقورة. تتحلى بمختلف الصفات الحميدة. من نزاهة واستقامة. وصبر ويقين. ورضا وصلاح. كما أنها امرأة جميلة الخلق والخلقة. هادئة الحديث. متفانية في أعمال البر والطاعة. لا يفتر لسانها عن ذكر الله وتحميده وتقديسه. بالإضافة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. حيث كانت من المواظبات عليها. ترددها باستمرار طيلة يومها. فإن ناداها أحد أجابته ثم عادت لترديدها من جديد.

وكان زوجها (الحاج العياشي سكيرج) يحبها كثيرا. نظرا لصفاتها الجليلة المذكورة. كما كان يحترمها ولا يرد لها طلبا. أما هي فكانت تبادله نفس الشعور. لعلمها بصلاحه وتقواه. فكانت تبره وتحافظ عليه وعلى صحته. أضف إلى ذلك أنها كانت تستأذنه في كل صغيرة وكبيرة. وكان هو معها كذلك.

وكانت إلى جانب ما ذكرناه امرأة محسنة. تنفق وتتصدق وتكرم الآخرين. وقلما كان بيتها يخلو من الضيوف. ويذكر عنها أنها كانت حريصة على تربية أبنائها. تحملهم على الاستقامة. وتوجههم إلى الصدق والإخلاص. كما كانت قريبة منهم على اختلاف أعمارهم. تؤنسهم وتلاطفهم. وتربيهم على المحافظة على أداء الفرائض. والتأدب بآداب الشريعة. مع تعظيم أهل الله. سواء منهم الأحياء والأموات. ودوام المحبة والاعتقاد فيهم.

وخلاصة القول فيه امرأة جليلة فاضلة. نذرت نفسها للعمل الجاد النافع. فدأبت عليه في صمت وتواضع وخشوع. عازفة عن البهرج الزائف والمظاهر الخداعة. لا تتطلع إلى شهرة. ولا تستهويها زينة الحياة الدنيا وبهجتها.

توفيت رحمها الله بفاس صبيحة يوم الاثنين 24 رمضان المعظم عام 1345 هـ - 28 مارس 1927 م. وقد حزن عليها ابنها العلامة سيدي أحمد سكيرج كثيرا. فرثاها بقصائد عديدة. منها قوله:

أوالدتي بفقدك إني في وجـــدي	أكابد فيه ما أكابده وحـــــدي
تناءيت مني واستقر بك النـــوى	وكنت بقربي لا تميلي إلى بعـدي
فهل أنت تنوين الرجوع إلي عن	قريب أو الأمر الذي لم يكن عندي

---

[1]- سيدي عبد الوهاب بن محمد التازي. هو احد إخوته السبعة الذين أخذوا الطريقة التجانية عن صاحبها القطب الشهير سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه. وكان ذلك مباشرة عنه بدون واسطة وهو رضي الله عنه من مريدي الطريقة الواصلين. الآخذين بالجد والاجتهاد. توفي رحمه الله سنة1277هـ وترجم له حفيده العلامة الحاج أحمد سكيرج في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ص 238. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف أيضا ج 4 ص 77- 80. وفي نخبة الإتحاف للعلامة الفقيه الحجوجي رقم الترجمة 71.

حبيبة قلبي ما ظننت بأنني ... أراك قد استبدلت ودي بالضد
وكنت أظن القرب منك مسرمدا ... وظني أن تبقى وتخلفني بعدي
ولما رآني الدهر فيك مولها ... وحبك لي يزداد أصبح من ضدي
فأقصاك عني بعد طول تقرب ... تقر به عيناي في القرب والبعد
عهدتك عندي في رخاء وشدة ... رقيقة قلب منك في الحل والشد
تروحين في هم لأجلي وربما ... تقطع حبل الصبر منك بما أبدي
وتغذين في هم لأجلي عديمة ... لصبرك مما قد دهاك من الوجد
ولازلت مني تحملين نوائبا ... بكل اهتمام بي لأظفر بالقصد
وتخفين عني ما تلاقين من عنا ... مخافة أن ألقاك في الألم المردي
وتبدين لي ما الله يعلم أنه ... من اللطف بي والقلب عندك في وقد
وعاملتني في كل حال برأفة ... على ما أنا أبديه في الأخذ والرد
وما كنت لي وحدي بلطفك جنة ... ولكن لكل الناس أكثرت في الود
رأيت لكل الناس أما وما أرى ... مثيلك أما في الحنانة والرفد
إذا قال منهم واحد آه مرة ... جزعت وأكثرت الدعاء بلا حد
أوالدتي والصبر عنك فقدته ... فهل جزعي من بعد موتك لي يجدي
فقدت أناسا كنت أفنى بحبهم ... ولم أرى قبل اليوم مثلك من فقد
فها القلب مني في اضطراب يزيدني ... تنوع كرب من تواريك في اللحد
بفقدك عندي قد فقدت أحبتي ... وبعدك عنهم فيه لي غاية البعد
أأبكي دماء والبكا غير نافع ... لو دام طول الدهر يجري على خذي
ومالي أرى عنك اصطبارا عهدته ... وإن اصطباري عنك فيه انقضى جهدي
فوا أسفاه هل يفارقني الأسى ... وما لي آس فيه بالهزل والجد
لقد قام بي ما لا أقوم بحمله ... من الحزن حتى صرت في منتهى الحد
فها أنا ذا مستسلم فيك للقضا ... وليس لما يقضي به الحق من رد
وفيك أعزي النفس مني معزيا ... جميع أحبائي وأكثر في الحمد
ولله ما أعطى وإني عبده ... لراض بما يقضي على الحر والعبد
وأسأل منه أن يحفك بالرضا ... إلى أن تنالي السؤل في جنة الخلد

التعريف بإخوته

للعلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج خمسة إخوة ذكور. وهم محمد فتحا المدعو حماد. وعبد الوهاب. ومحمد فتحا. وعبد الخالق. وعبد الرحمان. أما البنات فله منهن ثلاث أخوات لا غير. وهن راضية. وزينب. وعائشة.

ولا بأس أن نضع في هذا المحل تعريفا عن إخوته الذكور عسى أن نتطرق إلى ذلك بتفصيل في مناسبة أخرى.

سيدي محمد (فتحا)
بن الحاج العياشي سكيرج

يعرف بين كافة أفراد أسرته ب حماد. وهو أخ غير شقيق للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس بتاريخ شهر ربيع الأول عام 1292 هـ - 1875 م. وبها نشأ وتعلم. حيث تلقى دراسته على يد ثلة من مشاهير علماء القرويين. قبل أن ينتقل لمدينة طنجة عام 1319هـ. وذلك باستدعاء من طرف ابن عمه المهندس الشهير سيدي الزبير سكيرج[1]. فعمل بدار النيابة بطنجة مدة طويلة. كان حينها مواظبا على إلقاء سلسلة من الدروس العلمية بمساجد المدينة المذكورة. خصوصا منها بالزاوية التجانية والمسجد الأعظم.

ثم عهد له بعد ذلك بوظائف سامية. لا تسند عادة إلا لذوي الحنكة والتجربة من العلماء الكبار. وهو فقيه فاضل جليل. عميق الفهم. على درجة من الورع والتقوى والثبات على الحق. وقد عرف بالفضل وحسن الخلق. مع الأدب والتأنق بالمظهر. أضف إلى ذلك جمال طلعته. وحسن ملبسه. وطيب رائحته.

وكان كثير الملازمة للزاوية التجانية بمدينة طنجة. لاسيما عند ذكر الوظيفة بها بعد صلاة العصر. وهو من أكابر علماء هذه الطريقة بالمدينة المذكورة. كما كان كثير المواظبة على مطالعة تصانيفها الشهيرة. خصوصا منها كتاب جواهر المعاني. وبلوغ الأماني. في فيض الشيخ سيدي أحمد التجاني. للعلامة للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي. وحول هذا الكتاب كان يقول رحمه الله : به بدأت السلوك وبه أنتهي.

وله اعتناء واسع بمجال التأليف. حيث تفوق كتبه مؤلفا . منها كتابه الشهير : رياض البهجة في أخبار طنجة. وهو كتاب قيم. حافل بالفوائد والمعلومات العديمة النظير في غيره. يقع في سبعة أجزاء. توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط.

ومن كتبه أيضا: الدرر اللآلي. في ثبوت الشرف البقالي. طبع على الحجر بفاس عام 1337هـ-1917 م. وهو باكورة أعماله حسبما أظن.وقد أجاد فيه كثيرا. حيث رد على ادعاءات بعض من ينكر هذا النسب ويطعن في أهله. وكان رده كما هي عادته كافيا شافيا محكما.

ومن باب الجزاء على هذا العمل المشكور أنه لما توفي رحمه الله. واحتار أهله ومحبوه في انتقاء بقعة لدفنه. بادر الشرفاء البقاليون إلى دفنه عندهم. داخل ضريح جدهم الولي الصالح سيدي محمد الحاج البقالي. الشهير ب بوعراقية.

---

[1]- الزبير بن عبد الوهاب سكيرج المهندس الفقيه الأديب الرياضي، ازداد بفاس عام 1270هـ ، وهو ابن عم العارف بالله العلامة الحاج أحمد سكيرج. كان من جملة البعثة الحسنية التي وجهت لأروبا قصد دراسة العلوم العصرية فيها ، فتلقى في إنجلترا علوم الرياضيات من حساب وجبر ومقابلة، وتلقى كذلك علم الهندسة والجغرافية وغير ذلك من العلوم الحديثة العهد وقتذاك، وبعد رجوعه للمغرب اشتغل في عدة مناصب هامة، وله رحمه الله تأليف في علم الهندسة سماه: تحفة الإخوان بتخطيط البلدان، أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن العلامة الحاج أحمد سكيرج وكان مواظبا على حضور ذكر الوظيفة بالزاوية التجانية بحومة الغرسة الكبيرة بتطوان. توفي بنفس المدينة بتاريخ يوم السبت 13 شوال عام 1351هـ 9 فبراير 1933 م ، انظر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج 37- 39. وفي قدم الرسوخ، لنفس المؤلف ت 37. وفي إيقاظ القرائح لتقييد السوانح ، للمؤلف نفسه أيضا 5- 6. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 8 : 3019 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 38.

وكانت وفاته رحمه الله بتاريخ 4 محرم الحرام عام 1385هـ - 5 ماي 1965م. وقد رثته نخبة من علماء وقته. لاسيما منهم بعض أدباء موطنه (طنجة) كالأستاذ عبد الله كنون. وشقيقه محمد بن عبد الصمد كنون. وأبو بكر اللمتوني. ومما قاله فيه هذا الأخير:

لم تنوء أرض ولم تأت سمـاء ... بمصاب مثل فقد العلمـــــاء
هم أساة الروح فينا كلمـــا ... نال منا الداء جاءوا بالـــدواء
رحم الله أبا لـــــم أراه ... غير بش الوجه محمود اللقـــاء
يخلع النور عليه هالـــــة ... من هدى العلم وسيما الصلحـــاء
ودع المحراب نضوا شفـــه ... أرق الليل وأضناه البكـــــاء
إن أوى الناس إلى مضجعهم ... رفع الصوت لديه بالدعـــــاء
وبكى الطلاب درسا عامـرا ... سلقي النهج صوفي اللـــــواء
بوركت أسراره كم مـــــرة ... فتحت فيه لنا باب السمـــــاء
أيها الراحل خذ ما ابتغتـــه ... من شذا الذكر ومن حسن الجزاء
إن نأى وجهك عن أعيننـــا ... فهذي روحك عنا غير نـــاء

صورة للعلامة الأديب سيدي محمد (فتح) سكيرج.

عبد الوهاب بن الحاج العياشي سكيرج

هو أول أشقاء العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. حيث لا يصغره سوى بخمس سنوات فقط. وبناء عليه فهو من مواليد فاس عام 1300هـ . وبها نشأ وتعلم. فحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا. ثم أخذ قسطا لابأس به من العلوم والفنون المعتمدة إذ ذاك.
بيد أنه كان ميالا لمجال الأعمال والتجارة. وذلك من أهم الأسباب التي دفعته للانقطاع عن مواصلة دراسته وتعليمه.
ويذكر عنه أنه كان رجلا فاضلا.حسن الأخلاق. لطيف الروح. خفيف الظل. عذب الحديث. رائع النكتة. نقي القلب. يألف ويؤلف. وهو الذي ناب عن أخيه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج في نظارة الأحباس بفاس الجديد. خلال سفر هذا الأخير لبلاد الحجاز. قصد تهنئة ملكها باستقلال بلاده. وكان ذلك بتاريخ عام 1334هـ - 1916م.
وهو من المتقلدين بالطريقة التجانية. حيث أخذها منذ السنين الأولى من شبابه. وذلك على يد العلامة المقدم الشهير سيدي محمد (فتحا) كنون الحسني الإدريسي. وكان شديد الاهتمام بشؤون هذه الطريقة. يحترم علمائها. ويقدم أهل الفضل والخيارة منها. و ظل مواظبا على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله.
ومن مميزات صاحبنا المذكور أنه كان فطنا نبيها. وافر الذكاء. ثاقب الفهم. غزير المعرفة بأعمال التّجارة والصناعة. ويذكر عنه في هذا الإطار أنه شغل منصب ممثل لإحدى الشركات الأمريكية بالمغرب. وهو إلى جانب هذا صاحب أولويات عديدة. منها أنه أول من أدخل آلة الخياطة والتطريز للبلاد. وأول من برع في فن التطريز التقليدي. ومعظم الذين يعملون الآن في هذه الصناعة إنما هم تلامذة لتلامذته.
وله رحمه الله ثلاثة أبناء. أكبرهم محمد ابن سالم. سماه على لقب شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه. ثم بعده عبد العزيز. فعبد الحميد. وكلهم توفوا في مرحلة الشباب. ولم يعقب منهم أحد.
توفي المترجم في شهر محرم الحرام عام 1346هـ - يوليوز 1927م. وكان عمره لدى وفاته 46 سنة.

سيدي محمد (فتحا) بن الحاج العياشي سكيرج

أحد الإخوة الأشقاء للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1302هـ - 1884م. وبها نشأ وتعلم. وكان صاحب ذكاء وفطنة. مع فهم ثاقب. وذاكرة حافظة تسعفه حين اللزوم. وذلك من الأسباب التي ساعدت على تفوقه في مجال التحصيل.

صورة للفقيه المرحوم عبد الوهاب سكيرج
مع ابنيه محمد ابن سالم وعبد العزيز

حيث رسخت معرفته بعلوم عديدة. من تفسير وحديث وفقه. ونحو وإعراب وسيرة ومنطق.
وقد أسهم في تكوينه ثلة من صفوة علماء القرويين. من أضراب العلامة التهامي كنون. وعثمان بن محمد الحبابي[1].أضف إلى ذلك شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج وآخرين.
وكان إلى جانب ما ذكرناه شابا نشيطا. دؤوبا على المطالعة. مقبلا على ما يعنيه. ممتازا على كثير من أقرانه بما كان يتحلى به من أخلاق وصفات حسنة.
وهو صوفي فاضل. من عداد مريدي الطريقة التجانية. التي له فيها أياد بيضاء في خدمة المنتسبين لها. من مقدمين وفقراء وغيرهم.
وكان تمسكه بالطريقة التجانية على يد العلامة الشهير المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. بيد أنه توفي عقب أخذها بأشهر قليلة. ولم يتعدى عمره إذ ذاك 22 سنة. وعن سبب وفاته قال شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج :
توفي وصار إلى رحمة الله أخونا الطالب الأنجد. السيد محمد (فتحا) بن العياشي سكيرج في الساعة الأولى من نهار السبت 5 جمادى الثانية عام 1324هـ. بعد جلوسه في فراشه بمرض الحمى نحو 14 يوما. وقد مات والحمد لله موتة الصالحين. وصلي عليه بعد صلاة العصر في مسجد الشرابليين. في جماعة بالخصوص. وحمل من الدار إلى المسجد. ثم إلى قبره بين يدي إخواننا التجانيين. ولم يتركوه لأصحاب النعش. حيث حصل منهم تأخير عن وقت الحمل. وكانت جنازته حافلة. ودفن بجنب جدنا بباب عجيسة. رحم الله الجميع آمين وألحقنا به مسلمين. إهـ...

عبد الخالق بن الحاج العياشي سكيرج

هو رابع إخوة العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس عام 1307هـ. وبها نشأ وشب. فحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم. قبل أن يلج جامعة القرويين. حيث تلقى بها قسطا وافرا من تعليمه. بيد أنه توقف عن الدراسة بها لأسباب قاهرة. وذلك عقب وفاة والده عام 1328هـ. فاشتغل إذ ذاك في بعض الأعمال الحرة إلى حين عام 1332هـ. وهو العام الذي عين فيه شقيقه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج ناظرا لأحباس فاس الجديد. فعمل بجانب أخيه في الوظيفة المذكورة. بعدما اتخذ له سجلا يدون فيه مداخيل الأحباس باليوم والشهر والسنة.
ثم تخلى عن هذه الوظيفة مباشرة لدى انتقال أخيه لخطة القضاء بمدينة وجدة. لكنه عاد ليعمل بجانبه من جديد حين تعيينه على رأس القضاء بمدينة الجديدة. فكان كاتبا

---

[1]- عثمان بن محمد الحبابي. فقيه مدرس. من أولاد الحبابي المعروفين بفاس. ولد عام 1282هـ. أخذ عن نخبة من علماء القرويين. كمحمد بن التهامي الوزاني. وعبد المالك العلوي الضرير. ومحمد (فتحا) القادري. وعبد الله البدراوي وآخرين.
وهو أحد العلماء الذين لهم عناية بمجال التأليف. وله مجموعة من التصانيف المفيدة. لاسيما في ميدان الفقه. وقد طبع بعضها.
توفي بموطنه بفاس بتاريخ يوم الجمعة 4 ذي الحجة الحرام عام 1343هـ - 26 يونيه 1925م. انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي 8 : 2944. وفي الأعلام للزركلي 4: 214.

له. ينسخ الرسوم العدلية بخطه الأنيق. بيد أنه ما لبث أن تخلى عن هذه الوظيفة. وذلك لدى انتقال أخيه للقضاء بمدينة سطات.
وبناء على ما سبق عاد مترجمنا لمدينة فاس. فعمل بها في مجال إصلاح الساعات. وعن هذا المجال يقول ابنه الشاعر الشهير عبد الغني سكيرج:
كنت عندما أخرج من القرويين. وأنا يومئذ أدرس بها أصعد عنده إلى دكانه الواقع بالطالعة الكبرى. فأقف عنده الساعة والساعتين. وهو يقلب الساعة وينظر فيها بمنظاره الصغير. ليقف على عيبها ويصلحها. فأقلق أنا وأمتعض. وأتعجب من طول أناته وصبره. وأقول إنه من السهل علي أن أضرب بهذه الساعة الجدار أو الأرض وأؤدي لصاحبها ثمنها. دون أن أتحمل كل هذه المشقة والتعب في إصلاحها. ولكن الوالد الخير الصبور المحتاط لرزقه الحلال كان يصبر ويصبر. إلى أن تسير الساعة وتستقيم في دورانها وضبط توانيها .اهـ...
وهو إلى جانب ما ذكرناه واحد من جلة مريدي الطريقة التجانية في وقته. تمسك بها

صورة للعلامة الفاضل احمد سكيرج يتوسط
شقيقيه عبد الخالق وعبد الرحمان